

# مكتبة الأحقاف المخطوطات

## النشأة والتطور

صالح مبارك عصبان

### تأسيس المكتبة:

تحدثت إصدارات وزارة الثقافة والسياحة في لشطر الجنوبي من ليسن ومكتباتها في المكلا وسينون عن الخطوات الأولى لتأسيس المكتبة، وبدأت هذه المحاولات كما يذكر الشيخ علي بن سالم بكير - عام ١٩٧٠م بقدم لجنة المصرية للتاريخ لتني وضعت نواة للمكتبة القومية في البلاد (٩) وأوصت بضرورة تجميع كل المخطوطات في مكتبة وطنية ثم جاءت بعثات سوفيتية وأخرى من جامعة الدول العربية، وبمبادرة من قبل الأهالي بادر بنظر هذه المكتبات الأهلية والموقوفة على طلبية العلم بجمعها، وهم ورثة لوجيه عبد الرحمن بن شيخ الكاف (مكتبة آل الكاف) وعمر بن سهل (مكتبة بن سهل) وحامد بن حداد الكاف عن مكتبة جدّه حسن بن عبد الله الكاف - عليهم رحمة الله جميعاً - وتنفيذ تلك التوصيات والملاحظات المتقدمة وضع المسؤولون عن الثقافة من ضمن أولويات عملهم تحقيق هذا الحلم، وبمبادرة من محافظ (المحافظة الخامسة) في أوائل عام ١٩٧٢م تمت تصالات شخصية مع أصحاب المكتبات الأهلية في تريم ولني لا يستأد منها إلا في نطاق محدود جداً، وحتى تكون في رعاية جيدة حسنة لما اعترى البعض منها من إهمال، ولتكون في خدمة عدد أكبر من الدارسين والباحثين شكلت لجنة برئاسة أحد أصحاب المكتبات وعضوية مساعد المأمور بتريم (١٠) واستمر العمل في حصر والفرز وجمع وإيجاد طريقة مثلى تحفظ لكل مكتبة خصوصيتها وحصر ما بها من مخطوطات وتم ذلك تحت اسم (مجموعات)، ثم أصدر وزير الثقافة قراراً بوجبه افتتاح المكتبة رسمياً في ديسمبر ١٩٧٢م وسميت (مكتبة الأحقاف) ووضعت في دار كانت تشغلها بلدية تريم. وأول ماتم تجميعه ثلاث مكتبات هي: مكتبة بن سهل ومكتبة عبد الرحمن بن شيخ الكاف ومكتبة حسن بن عبد الله الكاف ثم أضيفت ست أخرى هي مكتبة الرباط، مكتبة الحسيني، مكتبة المهدي، مكتبة آل بن يحيى، مكتبة عينات، مكتبة لعبد رومان بيور (١١)، ومما أضيف أيضاً مكتبة آل حنيد.

ونلت هذه الخطوات أعمال أخرى أهمها تشكيل لجنة من قِبَل مجلس الوزراء في أغسطس عام ١٩٧٤م لمسح المخطوطات ورافق تلك اللجنة في زيارتها الأستاذ الصبان وكتب تقريراً عن نتائج المسح حيث قال في المقدمة (بني أطلع في إعطاء ذلك الموضوع حظاً من البحث بجمع تلك الثروة العلمية وجعلها في مكتبة واحدة) وينفذ لتقرير بعض المسائل والصعوبات التي رافقت المسح ومنها وجود تناقض في أعداد المخطوطات ببعض المكتبات وخاصة في ما سجله المحقق عبد الله الحشبي في فهرسه وما رقت عليه لجنة المسح ومن الأمثلة على ذلك مكتبة بن يحيى التي بلغ الفرق فيها (٨٧٦) مخطوطة مما يدل على صعوبة هذا العمل ومدى ما بذل فيه من جهود ومثابرة ليروى للزور.

ومن الخطوات أيضاً، تصوير بعض المخطوطات النفيسة من قِبَل لجنة جامعة الدول العربية (معهد المخطوطات) في إسرائيل ١٩٧٦م، وقام مكتب الثقافة بحضرموت منذ إنشائه في عام ١٩٧٥م بوضع خطة للاهتمام بالمكتبات وخاصة مكتبة الأحقاف. وفي عام ١٩٧٧م اقترح لشيخ علي بن سالم بكير فصل المخطوطات عن المطبوعات لتتم العناية بها بشكل أكبر، ونقلت المخطوطات إلى مكتبة لجامع وللشيخ علي مساهمات كبيرة، حيث عمل بمكتبة الكاف منذ لعام ١٩٦٦م، وهو أول أمين للمكتبة بعد تأسيسها وقام خلال ثلاثين عاماً بجهود وأعمال لتطوير المكتبة والمحافظة عليها والسعي لدى جهات الاختصاص لإعطاء المكتبة ما تستحقه من العناية والادعم، ومن تلك الأعمال سعيه لتصوير كثير من مخطوطات المكتبة، ومشاركته في عدة ندوات داخلية وخارجية للتعريف بالمكتبة وإلقاء الضوء على كنوزها والبحث عن المخطوطات الممنوعة من خلال زيارته إلى الهند عام ١٩٨١م، والعراق عام ١٩٨٩م وسورية عام ١٩٩٢م، وصنعاء وغيرها من المناطق. ونظراً لإمامته بما تحويه المكتبة فقد قصده الباحثون والمؤرخون والمهتمون بالتوثيق والمخطوطات والتحقيق وطلبة الدراسات العليا للباحث معه والاستئناس بآرائه، وظل أميناً عاملاً لها حتى أبعد عام ١٩٩٥م وتم تعيين شخص آخر ليصبح لشيخ علي مستشاراً للمكتبة إلى أن عين في المجلس الاستشاري.

### المكتبة ودورها في النشاط العلمي والثقافي:

أصبحت للمكتبة بعد إنشائها معلماً بارزاً من معالم مدينة تريم ومركزاً للإشعاع العلمي، وتعد فترة السبعينيات والثمانينيات فترة ذهبية لها، ففي قسم المخطوطات شهدت إقبالاً من قِبل الزائرين ولوفود الرسمية والعلمية واتمت المسافة المحلية بها.

أما في قسم المطبوعات فقد كان للموقع الذي تشغله وسط حديقة البلدية

تمثل المكتبات وسيلة من وسائل نشر العلم والثقافة وتنمية المعارف، وعاملاً رئيسياً من عوامل تطور البحث العلمي، بل هي رافد من روافد الثقافة، ووجهة لمحبي القراءة والاستفادة من لوقت.

وقد شهدت حضرموت - وخاصة واديها - خلال لقرون الماضية نشاطاً كبيراً في نسخ وكتابة وتأليف الكتب واقتناء المخطوطات، وتكونت مكتبات عديدة في كثير من البيوت وبعض المساجد ووقف المحسنون كثير من هذه المكتبات على طلبية العلم وبمرور الزمن وظهور مستجدات في المجتمع تكونت مكتبة الأحقاف وأصبحت في فترة ما قبل الوحدة اليمنية المكتبة الأولى في جنوب ليسن من حيث عدد المخطوطات وثرواتها وأقدميتها، وتم توحيد تلك المكتبات لصغير أو المحافظة عليها بجهود فردية وعامة ستحق الإشادة والتقدير، وقبل ذلك يلزم التوثيق لها حتى لا يأتي زمان فتنس لحقائق وتترك تلك الجهود أو تنسب لآخرين بدوافع مختلفة، كما ظهرت بوادرها في بعض المكتبات التي تحولت لخط الأورق. ومن ذلك ما ذكره أحدهم في كتاب صدر حديثاً نسب فيه إلى بعض الأشخاص لوزار في تجميع المكتبة والواقع على خلاف ما نذكر (١).

### وضعية المخطوطات والكتب قبل التأسيس:

وجدت في مدينة تريم مكتبات أهلية و (قدمت العائلات في تريم تلك الثروة العلمية للعلم والعلماء وجعلت تلك الكتب وقفاً على طلبية العلم والعلماء) (٢) وتعد مكتبة آل بن يحيى أغنى تلك المكتبات بالمخطوطات ثم مكتبة المحسن لشهير حسن بن عبد الرحمن بن سهل ومكتبات أخرى.

ويكاد المهتمون بأوضاع المخطوطات أن يجمعوا على أن الحالة التي كانت تعيشها تلك الثروة العلمية في السابق تستدعي خطو تجريبية ورادة لسبلتها من العيث وحفظها من الضياع، وأورد بعضهم أسباباً مختلفة لضرورة اتخاذ مثل هذا الإجراء، واعتبروا الترفيق فيها خسارة للأمة ويتبع الأستاذ المحقق عبد الله بن محمد الحشبي هذه الأسباب ويخلصها في عوامل طبيعية وأخرى شخصية ومنها:

- دخول الأوربيين ولأخذ بعض المخطوطات
- أخذ بعض المتقنين للمخطوطات معهم أثناء هجرتهم
- طريقة الحزن في الحزن الخشبية

ويؤكد على عامل الإهمال فيقول: ((في حين لا تزال تلك الكتب تحت رعاية أفراد الأسر من الأهالي فبها تكون معرضة لئسنى عوامل التلف والإهمال... والغالب على الأكثرية منهم الإهمال)) (٣)

وأورد لبعض الآخر عوامل أخرى ومن ذلك ما ذكره المؤرخ طوي بن طاهر الحداد من أن الأخلاق أو في سيرة الأسلاف ما يذكرون عليهم لغشوا إلى إغفائها وإغفائها (٤) والتفق معه الباحث محمد عبد النور مع التحفظ، وأخلفه سيرة أخروهم نظرية ليدانية والتقليدية في الحفظ مما يترك المخطوطات طعاماً للوسوس والغفان (٥) وجعل آخرون دخول ابن قفلا النجدي سبباً في إتلاف كثير من الكتب، وعلق العلامة ابن عبيد الله على ذلك القول بأنه مبالغ فيه (٦)، أما الأستاذ لباحث عبد القادر الصبان فقد عرف من خلال اتصال لجنة مسح المخطوطات بالأهالي أن سالم أحمد با جندان أخذ ما يقارب حمولة سيارتين من الكتب لمخطوطة ورسلها إلى عدن وربما أخذها إلى إندونيسيا (٧)، وأثبتت التحريات التي قام بها لراحل لباحث علي عقيل بن يحيى عندما كان نائباً لمدير لمركز اليمنى للبحوث الثقافية أن هذه الكتب حجرت في عدن في مطلع الستينيات بعد وجود اعتراض عليها من قِبَل أناس من حضرموت وبقيت هناك فترة طويلة حتى أتت عليها الأراضة.

وعوماً فإن هذه الأسباب وغيرها من التحويلات والظروف كانت كافية لإيجاد وسيلة جديدة تجعل المخطوطات في مكان أمين ومناسب، وأصبح واجباً على الجميع إتقان ما يمكن إتقانه ويقول في ذلك الأستاذ الصبان: ((إن بالمكتبات ثروة عظيمة من المخطوطات القيمة والكتب ذات المراجع التاريخية والأدبية والعقائدية والفلسفة لصوفية ولفظ الإسلامى، وإن جمعها في مكتبة واحدة يصون لثراث من الضياع والتلف ويسهل للباحث تقديم المراجع)) (٨) ولا تنسى - كما سياتي - توصيات البعثات الأجنبية في هذا الأمر.

ونستنتج مما تقدم أن توحيد للمكتبات مسألة هامة ورغبة عامة وليست كما يوهم بعضهم لقراء بأنها من (الإجراءات الثورية) وخطوات الجبهة وتأميم التراث الفكري.